الفصل الأول

الديـــن

بين الحقيقة والوهم والاعتقاد

بديهي ؛ لا يمكننا مناقشة البعد الديني فى الصراع العربي الإسرائيلي بدون التعـرض أولا لمناقشة معنى " **القضية الدينية** " وحقيقتها [1] . فبديهى ؛ إذا كانت القضية الدينية قضية وهميـة أو قضية اعتقاديه ـ لا مرجعية فيها لمطلق فكري ـ فإن مناقشة البعد الديني في الصراع القائم الآن ، بين العرب وإسرائيل (أو لو شئت الدقة : الصراع القائم الآن بين العالم الإسلامي وغير الإسلامي) سوف يصبح ـ في جوهره ـ مناقشة لمجموعـة مـن الأيديولوجيـات الفكريـة

---

[1] تأكيدا على الصحوة الدينية التى نراها الآن .. تقول الكاتبة الإنجليزية " كارين أرمسترونج " فـي مقدمـة كتابها " محمد " : [أصبح الدين من جديد قوة يعمل لها حساب ونحن نقترب من نهاية القـرن العشـرين ، إذ نشهد صحوة دينية واسعة الانتشار لم تكن لتدور بخلد الكثيرين فـي الخمسـينات والسـتينات ، عندمـا كـان العلمانيون يفترضون أن الدين خرافة بدائية تجاوزها الإنسان العقلاني المتحضر وتخطاها . بل أن البعض كـان يتنبأ بنبرات واثقة بأن الدين في النزع الأخير . وكان الكثيرون يعتبرون أن الدين لا يزيد ، على أحسن الفـروض عن كونه نشاطا فرديا لم يعد قادرا على التأثير في الأحداث العالمية . ونحن ندرك الآن أن تلك النبـوءة كـانت كاذبة . ففي البلدان التي كانت تنتمي إلى الاتحاد السوفيتي ، والتي عاشت عقودا طويلة في ظل سياسة الإلحـاد الرسمية ، عاد الرجال والنساء إلى المطالبة بحقهم في ممارسة شعائرهم الدينية . أما في الغرب فقد رأينـا أن من لم يكونوا يبدون اهتماما كبيرا بالعقيدة المذهبية التقليدية ومؤسسات الكنيسة ، أصبحوا يظهرون وعيا جديـدا بالحياة الروحية وحياة النفس الباطنة . ومن أشد المظاهر إثارة اليوم ما نشهده من تفجر نزعات التدين الجذرية التي نطلق عليها عادة صفة " الأصولية " في معظم الأديان الرئيسية . وتعتبر تلك النزعة صـورة مـن صـور الإيمان الذي اكتسب طابعا سياسيا حادا ، ويرى البعض أنها تمثل خطرا داهما على السـلام العـالمي والسـلام المدني ، ولا تملك الحكومات أن تتجاهلها وإلا تعرضت لأخطارها .

وهكذا ؛ على نحو ما شهدناه كثيرا في الماضي ، أعقبت عصر التشكك والاسترابه فترة مـن الحمـاس الدينـي الملتهب . والواقع أن الدين حاجة إنسانية ذات جذور عميقة لا يمكن التغاضي عنها أو إقصاؤها إلى الـهوامش والحواشي . مهما تكن العقلانية ومهما يكن مستوى التقدم الذي وصل إليه مجتمعنا . وقد يرحب البعض بعصـر الإيمان الجديد الذي نشهده ، وقد يأسف له البعض الآخر ، ولكنه من المحال أن يزعم أحد أن الدين لا علاقة لـه بالمشاغل الرئيسية في هذا القرن . فالغريزة الدينية ذات قوة عارمة ويمكن تسخيرها للخير والشر ، ومـن ثـم يجب علينا أن نفهمها ونفحص مظاهرها فحصا دقيقا ، لا في مجتمعنا فحسب ، بل في الثقافات الأخرى أيضا] .

المرتبطة بقومية فكر المتصارعين (أو حتى المتحاورين) فحسب ، لا مرجعية فيها لحق أو عدل مطلق ، وهو ما يطلق عليه الآن " **صراع الحضارات** " أو بالمعنى المخفف له في أحيان أخرى بـ " **حوار الحضارات** " . وهنا تصبح المناقشة (أو الحوار) مجرد (صراع) أو دفاع مشروع ـ من المنظور النسبي ـ لكل فريق عما يعتقده ويؤمن به فحسب .. وعليه أن ينتصر له بأي شكل . وبديهي لن يثمر هذا الحوار أو ينتهي إلى فكر مطلق يمكن أن يعول عليه .

وعلى الجانب الآخر ، ومن الأمور البديهية ، إذا كانت القضية الدينية ذات بعد مطلق وليس نسبي ، أي هي حقيقة مطلقة وليست وهما أو اعتقادا ، فإن المناقشة سوف تتسم ـ هنا ـ بمفهوم المنطق (العلمي) ، مما يسهل معه الوصول إلي نتائج لها معنى الحق والعدل المطلق الذي لا يحتمل الخطأ أو حتى اللبس أو الغموض . **فبديهي كل ما هو مبنى على وهم .. هو وهم ، وكل ما هو مبنى على حقيقة .. هو حقيقة** . ولهذا كان لابد من هذا الفصل ـ بادئ ذي بدء ـ حتى نضمن أقل قدر من المعقولية عند مناقشة قضية الصراع القائم الآن بين العرب وإسرائيل .. أو بالمفهوم الأشمل .. الصراع القائم الآن .. بين ما هو مسلم وما هو غير مسلم .

١ . *الدين بين الوهم والاعتقاد ...*

لعل أسوأ مصائب أو كوارث البشرية على الإطلاق ـ وبلا أدنى مبالغة ـ ليس فقط في عدم فهم الإنسان لمعنى الدين ، بل عدم رغبته الحقيقية في محاولة فهم هذا المعنى أيضا . أو ببساطة شديدة أن الإنسان لا يفهم ولا يريد أن يفهم . فالواقع ؛ أن غياب المطلق الديني ، ويشمل هذا بالتبعية غياب المطلق الأخلاقي أيضا ، هي كارثة حقيقية هائلة بكل المعاني .. سوف يدفع الإنسان ثمنها عاجلا أو آجلا .. ليس فقط على مستوى تواجده الدنيوي القاصر والمحدود في هذه الحياة الدنيا .. بل على مستوى تواجده الأزلي الممتد ـ زمانيا ومكانيا ـ بعد انتقاله إلى الأكوان الموازية أو المتراكبة الأخرى مع كوننا هذا [٢] ..!!

وكما سبق وأن بينت ؛ بأن النظرة المتردية الآن للدين إنما ترجع ـ في المقام الأول والأخير ـ إلى التجربة الدينية الفاشلة التي خاضها الإنسان الغربي مع كل من الديانتين اليهودية والمسيحية ووثياتهما الواضحة (سيرى القارئ جانبا من هذا المنظور ـ الآن ـ رؤية العيان في صياغة

---

[٢] للتفاصيل أنظر : " **الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري** " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب ، مكتبة وهبه . القاهرة . (الفصل الأول : المدخل إلى الأكوان الموازية ..) .

هذا الكتاب) .. وانسحاب نتائج تلك التجربة الفاشلة علي الديانة الإسلامية (من منظور أنها ديانة فحسب .. شأنها في ذلك شأن الديانات الوثنية الأخرى) بدون أي سند علمي يؤيد مثل هذا الاعتقاد الذي تم الانتهاء إليه ..!!!

فالغرب باعتقاده – الان – بأنه يملك ناصية العلم ، اعتقد كذلك بأنه يملك القول الفصل في موضوع الدين أيضا .. بدون الدراسة الموضوعية والمحايدة الكافية ..!!! ومن أسوأ ما اعتقدناه – نحن المسلمين – أننا أيدنا الغرب فيما اعتقده .. حتى أصبحت الحقيقة – الآن – على وشك الاختفاء من كثرة ما تم ترديد مثل هذه المعاني ..!!! وحتى أوشكنا – نحن المسلمين – على تصديق اعتقاد الغرب في الدين .!!! وبذلك أشرفنا على الغرق معا ..!!! وحتى لا ينحرف الفكر حول معنى التعصب والأصولية في دعوانا هذه .. دعنا نرى – عن قرب وعن كثب – كيف تردى الغرب في رؤيته للدين كناتج طبيعي من تجربته الدينية الفاشلة مع دياناته الوثنية .. ودعنا نبدأ القصة من أولها وباختصار شديد جدا [٣] ..

ففي القرن السابع عشر : صدرت " ***رسالة فى التسامح*** " *من غير أن يذكر اسم مؤلفها* ***خوفا من بطش الكنيسة*** *..!!!* وكان مؤلفها هو الفيلسوف الإنجليزي " **جون لوك** " [٤] ، والتي قال فيها بوجوب التسامح الديني ، واستند فى رسالته – هذه – إلى " ***نظرية فى المعرفة*** " يدور معناها حول " ***حدود العقل الإنساني وقصوره*** " . ويخلص من هذه النظرية إلى : ***أن المعتقدات الدينية ليست قابلة للبرهنة أو لغير البرهنة*** ، **فهي إما أن يعتقد فيها الإنسان أو لا يعتقد** ، ولهذا ليس فى إمكان أحد أن يفرضها على أحد . **ومن ثم يرفض جون لوك مبدأ الاضطهاد باسم الدين** [٥] . ولكي يلزم رفض هذا المبدأ ، فإنه يجب أن يوجد مبدأ التسامح الديني " .

---

[٣] للتفاصيل أنظر مرجعي الكاتب : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " والمرجع السابق .

[٤] جون لوك : John Locke " (١٦٣٢ – ١٧٠٤) ، فيلسوف إنجليزي رفض المذهب الفطري عند ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠) وهو المذهب الذي يقول بأن العقل ، لا الحواس ، هو الذي يلعب الدور الأساسي فى عملية المعرفة . وقال لوك بأن التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة .

[٥] أحد صور التعصب الديني وبطش الكنيسة الدموي بكل من يخالفها فى الرأي . يمكن أن نراه فى النص المقدس التالي الذي تقول به مسيحية *المحبة* ...

| (٢٧) أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي |
(الكتاب المقدس : لوقا { ١٩ } : ٢٧)

أما أعدائي .. يعنى أعداء السيد المسيح (عليه السلام) ، و " **أملك عليهم** ... *أى أن أكون* ***ملكا عليهم*** . **أما الأعداء فهم** أى شعب لا يقبل بأن يكون السيد المسيح ملكا عليهم ، أو بمعنى أكثر تخصيصا هو أى شعب لا

ثم يصبح فكر الفيلسوف الإنجليزي ***جون لوك*** " ـــ فيما بعد ـــ فكرا نمطيا ، ومسلمة فكرية لدى الإنسان . ويأتي " **ولتر ستيس** " الفيلسوف المعاصر ويردد ما ردده ***جون لوك*** من قبل ولكن بمفردات مختلفة ويقول [٦] :

" **أن القضايا الدينية لا تخلو من أحد أمرين ، إما أن تقوم على أساس من الحدس ، وإما أن تكون بلا أساس** " .

وهكذا يصبح الفكر الإنساني عن الدين بأنه " قضية اعتقاديه لا يمكن البرهنة عليها أو غير البرهنة " هو فكر نمطي ، وقضية مسلم بها الآن .

ثم ننتقل ـــ بعد ذلك ـــ إلى زعيم الفلسفة الوضعية الملحدة في العالم ومؤسسها ، "**أوجست كونت** " [٧] الذي يقول أن **قوانين العلم التجريبي تغنى عن الإيمان بالله** ، وأن هذه القوانين تدل على أن الطبيعة لها وجود مكتف بذاته . ويضيف كونت بأن التفكير البشرى مر بمراحل ثلاث أسماها باسم " **قانون الأحوال الثلاثة** " وهى على التوالي :

١ ـــ الحالة اللاهوتية أو الدينية [٨] .

يرتضى فكرهم بأن يكون عيسى إلها لهم ، أو لا يرتضى فكرهم قبول العقيدة المسيحية ..!!! . فيقول السيد المسيح لأتباعه .. " فأتوا بهم .. " ، أى بهؤلاء ، أو بهذا الشعب الذي لا يرتضى بهذا التتويج أو بهذا المنهاج " .. وأذبحوهم قدامي .. " أو " تحت قدمي " فى تراجم أخرى . وبديهى إن لم يكن السيد المسيح موجودا بالكيان الفيزيائي له وقت ذبح الأعداء ، فلا بأس من أن يتم الذبح أمام أى رمز أو وثن يشير إليه . ولمزيد من النصوص أنظر مرجع الكاتب السابق ، كما سنعرض هنا لبعض هذه النصوص في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

[٦] " الزمان والأزل : مقال فى فلسفة الدين " ، ولتر ستيس (Walter T. Stace) أستاذ الفلسفة بجامعة برنستون ، ترجمة د. ذكريا إبراهيم ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص : ٢٩٥ .

[٧] أوجست كونت : Auguste Comte (١٧٩٨ – ١٨٥٧) : رياضي وفيلسوف فرنسي . مؤسس الفلسفة الوضعية " ، أو " الفلسفة الواقعية " أو " المذهب الواقعي " أو " الوضعية المنطقية : Logical Positivism " بالتعبير الحديث . وقد ولد كونت بمونتلبتي بفرنسا ، من أسرة شديدة التعلق بالمسيحية الكاثوليكية ، ولكنه سرعان ما فقد الإيمان بهذه الديانة منذ الرابعة عشرة من عمره ، ثم نادى بـ " المذهب الواقعي " ، الذي يعنى أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة ، وما بينها من علاقات وأحاسيس فقط ، ولا يدرك غير ذلك . وينسب أيضا إلى كونت تأسيس علم الاجتماع وفصله عن الفلسفة . (تاريخ الفلسفة الحديثة ؛ يوسف كرم . دار المعارف ؛ ص : ٣١٦ / ٣٢٩) .

[٨] ففي الحالة اللاهوتية : كان دأب العقل البحث عن كنه الكائنات وأصلها ومصيرها ، وتدرج فى هذا البحث إلى درجات ثلاث : الدرجة الأولى هى " الفيتشية : Fetishism " (أو التقديس الأعمى) ؛ وفيها يضيف العقل إلى الكائنات الحية حياة روحية شبيهة بحياة الإنسان . وتأتى الدرجة الثانية بتعدد الآلهة ، حيث يسلب فيها ـــ العقل ـــ الكائنات الطبيعية ما كان قد خلع عليها من حياة ، ويضيف أفعالها إلى موجودات أخرى غير منظورة تؤلف عالما علويا . أما الدرجة الثالثة ، فهي توحيد كثرة الآلهة فى إله واحد مفارق . وفى هذه الحالة تتسع الشقة ويزداد التضاد . ثم تأتى الحالة الميتافيزيقية : ويرمى فيها العقل كذلك إلى إستنكاه صميم الأشياء ومصيرها

٢ ــ الحالة الميتافيزيقية .

٣ ــ الحالة العلمية أو الوضعية .

وإنه بمنطق التطور التاريخي الحاسم يصبح الدين والميتافيزيقا مجرد خرافات ورثناها من القرون السابقة ، وقضت عليها حاليا سيادة العلم الحتمية ، وأي محاولة لإحيائها أو الدفاع عنها تعتبر عملا من الأعمال المضادة لطبائع الأشياء . ويقول **كونت** :

" إن الاعتقاد فى ذوات عاقلة أو إرادات عليا لم يكن إلا تصورا يخفى وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية ، وإن العالم الطبيعي لا يبقى فراغا يسده الاعتقاد بوجود إله ، ولا يبقى سببا يدفعنا إلى الإيمان " .

وبهذا ينتهي **كونت** إلى رفض الدين كلية ، بل ويعتبر القضية الدينية هى مجرد " **قضية وهمية من صنع خيال الإنسان** " . ولكن سرعان ما يتناقض **أوجست كونت** مع نفسه ، وينتهي إلى وضع (أو اختراع) دين جديد أسماه " **دين الإنسانية** " ..!!! حيث يقول بأن **الدين هو خاصية النوع الإنساني** ، لذا فهو فى حاجة دائمة إلى التدين [٩] . ولهذا نادى كونت بديانة جديدة أسماها " **الديانة الإنسانية** " . حيث يقول بأنها " **ديانة واقعية** " ، تكون فيها " **الإنسانية** " هى " **الموجود الأعظم** " . ويكون فيها الفلاسفة بمثابة الدماغ لهذا الموجود الأعظم ، وتكون النساء بمثابة أعضاء العاطفة ، وواجبهن إثارة عواطف الحنان والغيرة الكفيلة باستكمال "**الموجود الأعظم** " . وبعدهن يجئ رجال الصناعة والمال وهم بمثابة أعضاء التغذية لهذا الموجود الأعظم . وأخيرا يجئ العمال وهم بمثابة أعضاء الحركة له .

وتقدم العبادة لهذا " **الموجود الأعظم** " فى صور مشتركة وفردية . فالعبادة المشتركة تكون فى صورة الأعياد التذكارية تكريما للمحسنين إلى الإنسانية ، وبهذا تمتلئ الإنسانية ــ أى **الموجود الأعظم** ــ بالسرور والعرفان بالجميل . وفى العبادة الفردية يتخذ الأشخاص نماذج للمثل الأعلى . ولما كانت كرامة الفرد جزءا من " **الموجود الأعظم** " ، لذا لزم أن يوجه الفرد

أيضا ، ولكنه يستبدل المعاني المطلقة السابقة بعلل ذاتية يتوهم فيها العقل بأنها تقبع فى باطن الأشياء . وما هى إلا معان مجردة قد جسمها له الخيال . وأخيرا الحالة الواقعية : وفيها يدرك العقل امتناع الحصول على معارف مطلقة ، فيقصر همه على تعرف الظواهر واستكشاف قوانينها . ويقول كونت بأن الحالات الثلاث السابقة تتعاقب فى كل إنسان . ففي الحداثة نقتنع بسهولة بالتفسيرات اللاهوتية ، وفى الشباب نقتضي عللا ذاتية ، وفى سن النضج نعول على الواقع .

[٩] هنا نرى فشل " كونت " في فهم وتعريف " الغريزة الدينية " .. ومن الذي أودعها في الإنسان .

أفكاره وأفعاله إلى صيانة هذا " **الموجود الأعظم** " وإبلاغه حد الكمال ، كما يجب أن يصبح شعار الجميع هو " **الحياة لأجل الغير** " .

وبديهى أن المتأمل فى مثل هذا السلوك ينتهي إلى أن تجربة **أوجست كونت** مع الدين الشائع فى مجتمعه ، أى الديانة اليهودية/المسيحية ، هى تجربة فاشلة أصابته بالإحباط (كما سنرى ذلك بالعين المجردة فى هذا الكتاب) ، وانعكس آثارها لديه بأن قام برفض الفكر الديني ككل ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يستطع أن ينفصل عن التدين الفطري لديه أو الحاجة إلى التدين على نحو كامل . لذا نراه يلجأ إلى وضع دين آخر أسماه " **دين الإنسانية** " . **وهو الديانة الإنسانية التى مسخ بها " كونت " الديانة المسيحية ، ونصّب نفسه كاهنها الأكبر . ووضع لها شعارا : المحبة كمبدأ ، والنظام كأساس ، والتقدم كغاية (حيث يمكن مقارنة هذا الشعار بالشعار المسيحي : الله محبة ، الله فداء ، الله خلاص)** .

ثم نأتي إلي الفيلسوف (والرياضي) البريطاني **برتراند رسل** [١٠] *(وهو من أشهر فلاسفة القرن العشرين) .. فنجده يقول : إن* الإنسان ما هو إلا جزء ضئيل من الطبيعة ، وأن أفكاره تحددها العمليات التى تقوم بها الدماغ ، فهي إذن محكومة بقوانين الطبيعة . كما أن العلم هو المصدر الوحيد لمعرفتنا ، إلا أنه لا يقدم أى تأييد للاعتقاد فى الألوهية أو فى خلود النفس . **ويضيف رسل أن عقيدة الخلود هى عقيدة سخيفة وغير معقولة ، لأنه لو كانت النفوس خالدة ، إذن لملأت كل المكان** . والدين عند **رسل** يقوم على الخوف ، وبالتالي فهو شر ، وهو ــ كما يقول ــ " **عدو للطيبة والذوق فى العالم الحديث** " ، **وهو يوجد عند الأقوام التى لم تبلغ نضجها الثقافي بعد** ..

وبديهي ؛ المنظور السابق يعنى فشل " برتراند رسل " فى تحديد أو تعريف القضية الدينية ، كما يعنى سذاجة رؤية " رسل " للوجود ، وقصره على المفهوم المادي الأرضي والكوني

---

[١٠] *(لورد) برتراند راسل : Lord Bertrand Russell* (١٨٧٢ - ١٩٧٠) ، رياضي وفيلسوف إنجليزي ، أحد رواد " الفلسفة التحليلية : Analytical Philosophy " ، يعتبر هو و " ألفريد هوايتهد : Alfred N. Whitehead " واضعي علم المنطق الرمزي أو المنطق الرياضي . من آثار رسل " تحليل المادة : The analysis of Matter " (عام ١٩٢٧) ، و " الدين والعلم : Religion and Science " (عام ١٩٣٥) ، و " تاريخ الفلسفة الغربية : History of Western Philosophy " (عام ١٩٤٥) ، و " السلطة والفرد : Authority and the Individual " (عام ١٩٤٩) . ونال " رسل " جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٥٠ .

ولرؤية الفلسفة متكاملة منذ بدء الحضارة البشرية وحتى الفلسفات المعاصرة (في جرعة مكثفة) .. أنظر كتاب : " الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

فحسب .. ولم يتعد منظوره هذا إلا كفره بالديانة المسيحية نفسها ، كما يذكر ذلك صراحة في سيرته الذاتية ، ومحاولته الفاشلة لإيجاد معنى للوجود[١١] ..!!!

٢ . موقف الفكر الغربي من الدين ..

وبهذه المعاني السابقة ننتهي إلى أن موقف الفكر الغربي من الدين أو من " القضية الدينية " يتراوح ــ حتى الآن ــ بين كون " القضية الدينية " " قضية وهمية " ومن صنع خيال الإنسان (فكر الفلسفة الوضعية) ، وبين كونها ــ حتى إن وجدت ــ " قضية اعتقاديه " غير قابلة للبرهنة أو لغير البرهنة ، كما قال بذلك الفيلسوف الإنجليزي " جون لوك " وأيده في ذلك الفيلسوف الأمريكي المعاصر " ولتر ستيس " . ويشمل المنظور الأخير رؤية قطاع كبير ــ أيضا ــ من المسلمين . وبديهى ؛ إذا كان هذا هو حال القضية الدينية فإن " **المطلق الدينى** " يصبح " **نسبي** " ، كما يصبح " **المطلق الأخلاقي نسبي** " أيضا ، وهنا تسود **المنفعة (أو الفلسفة البراجماتية) والدارونية الاجتماعية** [١٢] ، حيث تصبح الإبادة البشرية وعلاقة الغاب هي الحلول النهائية لمشكلات الإنسان ، أو هي العلاقة الطبيعية التي تحكم المجتمعات البشرية ..!!!

وهكذا تضيع الحقائق من بين يدي الإنسانية المعاصرة ، وتصبح كل فئة تدافع عن منظورها أو عن هويتها الشخصية فحسب .. ***ويصبح الرؤية القاصرة لحياة الإنسان الفكرية .. هو " صدام فكرى " أو " صراع حضاري " بين أيديولوجيات مختلفة فحسب ، كل يدافع عما يؤمن به بغيبوبة لا مرجعية فيها لحقيقة مطلقة أو كلية .. بل مجرد منظور نسبى لفكر ما فحسب ..!!!***

---

[١١] " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب ، يطلب من مكتبة وهبة . القاهرة .

[١٢] " الدارونية الاجتماعية : Social Darwinism " هى النظرية التى نتجت عن تطبيق نظرية دارون (التى تقول بمبدأ : " الانتخاب أو الانتقاء الطبيعي : Natural Selection ") على المجتمعات الإنسانية . وهى النظرية التى نشأت فى القرن التاسع عشر والتى إعتبرت أن حياة الإنسان فى المجتمع تمثل صراعا من أجل الوجود يحكمه مبدأ " البقاء للأصلح " . وبديهى أن المساواة والديمقراطية تتناقضان مع مبدأ الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح . وقد استخدمت الفاشية هذه الفكرة ــ أى مبدأ الانتقاء الطبيعي وبقاء الأصلح ــ لتبرير تصفية أجناس بعينها . كما دوفع عن الحروب بين الأمم لنفس الأسباب ، وقالوا بأنها وسيلة لإبادة الضعفاء من الجنس البشرى واستمرار بقاء الأقوياء . كذلك حرّف أنصار الماركسية ، الدارونية لتطبيقها على تنازع الطبقات . كما تم تبرير الأعمال الوحشية لإبادة المجتمعات الصغيرة استنادا إلى النظرية الدارونية . وعلى الرغم من أن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن هذه النظرية لا تقوم على أساس علمي سليم (ولهذا اضمحلت خلال منتصف هذا القرن ، أى القرن العشرين) ، إلا أنها بدأت تلوح فى الأفق مرة أخرى مع تزايد معدلات نمو العلمانية الشاملة .

٣ . الدين ... وميكانيكا الكم ...

والسؤال الآن : هل أصاب الغرب في فهمه للدين ..؟! أي هل الدين ــ فعلا ــ قضية وهمية من صنع خيال الإنسان أو مجرد قضية اعتقاديه فحسب .. أم أن الدين شيء آخر ..؟!
في الحقيقة : لم يصب الغرب **في فهمه للدين ، كما لم يصب في فهمه لدور الدين في حياة الإنسان ..!!! وعلى الرغم من ذلك فقد نجح الغرب ــ بدون وعي منه ومنا ــ في أن ينقل لنا رؤيته القاصرة عن الدين ..!!!**

والآن .. ما هي الحقيقة الدينية ..؟!! وأين توجد هذه الحقيقة ..؟!! ومن أين نبدأ لمعرفتها ..؟!!

في الواقع .. وبصياغة مباشرة .. لقد قام الدين الإسلامي .. بنقل " القضية الدينية " من حيز الوهم أو الاعتقاد .. إلى حيز " القضايا العلمية " ذات البراهين الراسخة . وبهذا المعنى يصبح " **الدين " ليس بقضية وهمية من صنع خيال الإنسان ، كما وأنه ليس بقضية غير قابلة للبرهنة أو لغير البرهنة** ، بل هو " **قضية علمية كلية** " لها براهينها الصارمة ، بل وأشد صرامة من القوانين الفيزيائية التي نفخر بثباتها . ولكن كيف يمكننا صياغة القضية الدينية بحيث يمكننا البرهنة علي صحتها ؟!

وللإجابة على هذا السؤال دعنا نبدأ بخير مثال علمي يمكن أن يماثل القضية الدينية في جوهره ، وهذا المثال هو " **نظريات ميكانيكا الكم** " . وقد يبدو هذا العنوان غريبا بعض الشيء حتى على القارئ ذي الخلفية العلمية ..!!! فما عسي أن تكون مثل هذه العلاقة أو المشابهة بين الدين .. وبين ميكانيكا الكم (**The Quantum Mechanics**) ..؟!! في الحقيقة ؛ أن الصلة بين الفكر الديني وفكر " **ميكانيكا الكم** " هو فكر أصيل للغاية .

ودعنا نرى أولا .. ماذا يتم في " **ميكانيكا الكم** " . ففي ميكانيكا الكم كانت ملاحظة الظاهرة الطبيعية تتم أولا .. ثم يلي ذلك المحاولة المبذولة لإيجاد الصيغ الرياضية الدالة التي يمكن أن تصف مثل هذه الظاهرة . أو بمعنى اخر تبذل المحاولة للوصول إلى شكل القانون الطبيعي الذي يحكم العلاقات بين القوى الرئيسية أو المجالات داخل الذرة ونواتها التي تم ملاحظتها . ولهذا أخذت النظرية الكمية في النمو أو الظهور بشكل تدريجي (قطعة بقطعة) على مدار ما يقرب من قرن من الزمان (١٠٠ عام) .. حتى قاربت الان ــ إلي حد ما ــ على الانتهاء .

ولهذا فهي تعتبر ــ من منظور معظم الفيزيائيين ــ بأنها أكمل النظريات العلمية وأتممها التي أنشأها أو أسسها الإنسان على مدار حضارته وتقدمه حتى الان .

وهكذا ؛ يمكن محاولة صياغة " **القضية الدينية** " .. من ملاحظة ما يتم على المستوى الكمي (والوحدة هنا .. الفرد الواحد) .. ثم السعي إلى وضع القوانين الحاكمة التي تحكم سلوك الإنسان ككل .. الناتج عن حركته وموقفه من الدين . وهنا ينبغي التعامل مع " **الدين** " بنفس هذا المنظور الذي بنيت على أساسه ميكانيكا الكم .

فالواقع ؛ أن الظواهر الدينية ، لا تقل فى معناها ووضوحها عن الظواهر الطبيعية التي لاحظها الإنسان على المستوى الذري أو النووي والتي بنيت على أساسها ميكانيكا الكم . والظواهر الدينية هنا هى ظواهر حشود (aggregates) بشرية يحكمها القوانين الإحصائية العادية . **ومثل هذه القوانين تحتم وجود الخالق المطلق من جانب ، كما تحتم وجود الغايات من خلق الإنسان من جانب آخر . والغايات من خلق الإنسان تحتم ــ بالتالي ــ وجود البراهين الصارمة على صحة القضية الدينية** . وسنكتفي ــ هنا ــ بعرض قانونين طبيعيين فقط ــ بمفهوم القوانين الفيزيائية العامة والقوانين الإحصائية ــ ***لبيان ضرورة وجود مثل هذه البراهين الرياضية الدالة على صحة الديانة*** .

٤. *حتمية وجود البرهان العلمي على صحة الديانة ...*

والآن تطبيقا للمبدأ العلمي أو مبدأ ميكانيكا الكم السابق ، والذي يسعى فيه الإنسان لإيجاد القانون الذي يحكم الظاهرة عقب ملاحظتها ، فإننا سوف نسعى لصياغة قانونين أساسيين من واقع رؤيتنا للظواهر الدينية لدى الإنسان .

القانون الأول منهما ، هو قانون يحكمه " ***الغريزة الدينية لدى الإنسان*** " وهي الغريزة التي تدفع الإنسان نحو ***التدين بدين ما (أو الرغبة في القيام بالعبادة)*** ، سواء كان هذا التدين فى شكله الظاهر والمباشر باعتناق الإنسان لديانة ما ، أو في شكله غير المباشر فى صورة تدين مستتر باعتناق أيديولوجية فكرية ما ، أو في صورة أي اهتمام .. برياضة ما أو بلعبة أو مطرب أو خلافه (وهنا تصبح العبادة مستترة) . فالغريزة الدينية لدى الإنسان (وهي التي تدفعه نحو القيام بالعبادة) هو شعور فطرى محض مغروس فى النفس البشرية .. يشير أو يدل

على وجود خالق للإنسان فحسب . وبديهي وجود الخالق يقود مباشرة إلى وجود الغايات من الخلق .. أو بمعنى اخر .. وجود الدوافع التي من أجلها خلق " الله " الإنسان ..؟! وبديهي ؛ إذا وجدت مثل هذه الدوافع .. فلابد وأن يكون الدين هو البلاغ الصادر عن الخالق لتبليغ الإنسان – المخلوق – بالغايات من خلقه .

ومثل هذه الملحوظة فحسب ، وهي الملحوظة التي يشترك فيها الإنسان على نحو مطلق ، تجعلنا نصيغ القانون الأول على النحو التالي :

" إن ظاهرة الدين والتدين لابد وأن تؤدى بالضرورة إلى وجود خالق ، ويؤدى هذا المعنى – بالضرورة – إلى وجود معنى للغايات من الخلق ، كما يؤدي هذا المعنى الأخير إلى ضرورة تحقيق الإنسان للغايات من خلقه " .

ولتقريب المعاني ؛ أي معاني تحقيق الغايات من الخلق نضرب على ذلك المثال التالي : هب أنك أردت بناء مسكن ما مثلا .. فبديهي .. سوف تقوم باستئجار العمال المناسبة لهذا الغرض .. فإذا قاموا بالبناء فقد حققوا الغرض من استئجارهم واستحقوا الأجر ، وإذا لم يقوموا بالبناء فإنهم لم يحققوا الغرض من استئجارهم ، وبديهي ، لن يستحقوا الأجر . وهكذا حال الإنسان وموقفه من الإله . فـ " الإله " – أي الله عز وجل – قد خلق الإنسان من أجل تحقيق غايات بعينها ، فإذا حقق الإنسان هذه الغايات فسوف ينال الأجر (أي الخلاص) ، وإلا فلن ينال الأجر (أى لن يفوز بالخلاص) . وأشير هنا ؛ إلى أن تحقيق الغايات من الخلق لم يخرج معناه عن تحقيق قانون طبيعي محيط .. مماثل للقوانين الطبيعية التي نخضع لها في كوننا المادي هذا . كما أشير هنا إلى أن هذا التماثل في المثل المضروب هو قانون فيزيائي آخر – مستخدم في الفيزياء الحديثة – ويعرف باسم " قانون أو قوانين الوحدة في الوجود : Uniqueness Theory " . ومثل هذه الصياغة تمثل بالضبط " المُسلّمة الأولى للنظرية النسبية الخاصة " والتى تقول : " إن قوانين الوجود أو المعادلات الرياضية الدالة عليها هي واحدة في جميع الأنظمة القصورية المتحركة بالنسبة لبعضها البعض في حركة منتظمة علي خط مستقيم " .

ونتنهي من هذا كله بأننا : " إذا قلنا بضرورة وجود الغايات من خلق الإنسان فلابد وأن يكون الدين هو البلاغ الصادر عن الخالق للتعريف بهذه الغايات . وبديهي ؛ وجود الغايات من الخلق تستلزم ضرورة تحقيق هذه الغايات ، فلا معنى لوجود غايات بدون تحقيق لها " .

وبهذا المعنى يصبح الإله هو مصدر الدين ، وليس الدين مصدر الإله . وهنا يتحتم على الدين ــ بالضرورة ــ تقديم البرهان اللازم للتدليل على صحته ، وإلا فقد البلاغ حجته .

ثم ننتقل إلى " القانون الثاني " الذي يحتم ضرورة وجود البرهان على " صحة الديانة " ويمكــن تعريف هذا القانون باسم " قانون الخلاص الفطري " . وهو قانون مرتبط بالاعتقــاد السائد فى جموع أو حشود أفراد الديانة الواحدة .. بأنها سوف تنال الخلاص (الفوز بــالنعيم أو الثواب) من خلال دينها فقط ، بينما يهلك كل من هو خارج هذه الديانة . ومثل هــذا المعنــى يجعلنا نرى مثل هذه الظاهرة بمثابة قانون طبيعي (أو إحصائي) آخر ، مــؤداه : ***أن الفــوز بالخلاص مرتبط بصحة الديانة*** . وهنا يصبح الظهور المفضل للإله فى أحد الديانات لابــد وأن يكون مصحوبا بالبرهان الدال والكافي على هذا الظهور المفضل ، وإلا أصبح ظهور الإله فــي الدين عشوائيا ..!!! **بمعنى ؛ إذا كان الظهور المفضل للإله ظهورا عشوائيا غير مصحــوب بالأدلة والبرهان الكافي ، فإن نجاة الفرد وخلاصه سوف يحكمهما الصدفة البحتة فى تواجــد الفرد داخل الديانة الصحيحة منذ ميلاده ..!!!** وبديهي أيضا ؛ إذا اصبــح ظــهور " الإلــه " المفضل في أحد الأديان عشوائيا .. يصبح فى يد الإنسان الحجة التي يمكــن أن يقيمــها علــى "الإله" ــ ولله الحجة البالغة ــ يوم الحشر (أو يوم الدينونة أو يوم القيامــة) بــأن ظــهوره المفضل .. هو أمر عشوائي لا برهان له ولا يمكن القطع بصحته .. وهنا تصبح الدينونــة .. لا منطق لها ولا حكمة فيها ..!!! فكيف يحاسب المرء على مالا يستطيع الحكم فيــه أو القطــع بصحته ..؟!!! وهو ما يعني العودة ــ مرة أخرى ــ إلى منظور الفيلسوف جون لوك الســابق الإشارة إليه ..!!!

ومن هذا المنظور يمكننا صياغة القانون الثاني أى " **قانون الخلاص الفطري " على النحو التالي : " طالما وأن نجاة الفرد مرتبطة بصحة الديانة فلابد وأن تحوي الديانة البرهان الذاتي الذي يؤيد صحتها " . ومثل هذا القانون يؤدى ــ مباشرة ــ إلى نفى تعدد الأديان ، وهو مــا يعني إطلاق معنى القضية الدينية وليس نسبيتها ، أى هى ديانة واحدة وليست أديانا .**

ونكتفي في هذا الفصل [١٣] .. بهذا العرض السابق الذي يحتم ضرورة وجــود الــبراهين الدالة والحاسمة على صحة الديانة ، كما يحتم وجود الغايات من خلق الإنسان ، وهو معنــى لا يقل فى مغزاه عن معنى القوانين الفيزيائية العامة . فملاحظة الظواهر البشرية ثم صياغتها فــى صورة قوانين مناظرة تحكم سلوك الإنسان وما تؤدى إليه من نتائج ، هو عين مــا يقــوم بــه

---

[١٣] **أنظر الفصل الثاني من هذا الكتاب لرؤية قانون .. " البعث والجزاء الفطري " .**

الإنسان فعلا ــ بعد تمام نضجه الفكري على مدار حضاراته المتتابعة ــ عند صياغته للقوانين الفيزيائية أو الطبيعية العامة . أما طبيعة الغايات من الخلق والبراهين الدالة على صحة الديانة وشروطها فهي موضوع اخر .. وسنعرض له باختصار شديد هنا [١٤] .

٥. الدين وتعريفه ...

في الواقع ؛ يرتبط تعريف " **الدين** " في الديانة الإسلامية بثلاثة مفاهيم أساسية :

المفهوم الأول : هو مفهوم خاص بوحدانية الخالق وثباته .. وحيث أن الدين مصدره الخالق ، سبحانه وتعالى ، فهذا يعني ــ بالتالي ــ وحدانية الدين وثباته . فلا يوجد من منظور الديانة الإسلامية أديانا ، بل هو دين واحد أوحى به الله (ﷻ) إلى كل أنبيائه ورسله ، كما جاء في قوله تعالى لمحمد (ﷺ) :

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٤٣)

فإذا اضفنا إلى هذا قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ... (١٩) ﴾

(القرآن المجيد : ال عمران {٣} : ١٩)

هنا يصبح لا وجود لديانات سماوية تعرف باسم " **الديانة اليهودية** " (نسبة إلى يهوذا ، أحد أبناء يعقوب ، عليه السلام) ، أو باسم " **الديانة المسيحية** " (نسبة إلى المسيح) [١٥] ، فلم ينزل الحق (تبارك وتعالى) **سوى ديانة سماوية واحدة هي " الديانة الإسلامية " .. سواء كان هذا على إبراهيم ، أو على موسى ، أو على عيسى ، أو على محمد ، عليهم جميعا**

---

[١٤] للتفصيل أنظر : الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " ، " الدين والعلم وقصور الفكر البشري " لنفس المؤلف . مكتبة وهبة . القاهرة .

[١٥] تماما مثل " الديانة البوذية " نسبة إلى مؤسسها أو واضعها جوتاما بوذا . للرؤية المباشرة لهذه المعاني يمكن الرجوع إلى مرجع الكاتب السابق : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " .

السلام . ومن هذا المنظور فإن صحائف إبراهيم ، وتوراة موسى ، ومزامير داود ، وإنجيل عيسى .. ما هي في حقيقة أمرها سوى نسخ (versions) أولى من القرآن المجيد ، أي هي صور من الديانة الإسلامية فحسب . ومن هذا المنظور .. يعتبر القرآن المجيد .. هو "العهد الأخير" الذي نزل على محمد (ﷺ) (أنظر الفصل الثامن) . ويأتي هذا المنظور الشامل في قوله تعالى ..

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ ءامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) ﴾

(القران المجيد : أل عمران {٣} : ٨٣ - ٨٤)

[**الأسباط** : أولاد يعقوب أو أحفاده]

وبذلك تكون " **الديانة الإسلامية** " هي اسم الدين الذي هتف به كل الأنبياء والرسل ، وانتسب إليه كل أتباعهم [١٦] . أما القول بالدية اليهودية (نسبة إلى : يهوذا) ، والديانة المسيحية (نسبة إلى : المسيح) فلا يزيد معناها عن أنها نسخ أولى من الديانة الإسلامية ثم حرفت عن واقعها الأصلي التي نزلت عليه من السماء .. وأصبحت ديانات وثنية بهذه التسميات .. ***أهلها هم أهل كفر .. وأهل ضلال .. ومصيرهم إلى الخلود في النار..!!! فهي حقائق واضحة المعالم في الدين الإسلامي .. ولا ينبغي التقليل من شأنها أو المجاملة فيها .. وإلا حملنا ــ نحن المسلمين ــ أوزارها .. أي أوزار عدم البلاغ الإلهي بهذه المعاني ..!!!***

أما المفهوم الثاني للدين : فهو مرتبط بالغاية منه .. وهذه الغاية هي تعريف الإنسان .. بهذا الخالق المطلق ــ أى تعريف الإنسان بالله سبحانه وتعالى ــ المتفرد في الكمالات والفعل الإلهي . وجميع الديانات ــ عدا الديانة الإسلامية ــ إما تتورط في تعريفات وثنية للإله مثل اليهودية والمسيحية ، أو إغفال التعريف بالإله تماما كالبوذية والكونفوشية .. وغيرهما [١٧] .

---

[١٦] لرؤية هذا المنظور كاملا .. أنظر : " **الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان** " ، **لنفس المؤلف . يطلب من مكتبة وهبة .**

[١٧] " **الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري** " ، **مكتبة وهبة . القاهرة . / الفصل الخامس : " أديان العالم .. من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر** " .

أما المفهوم الثالث للدين : فهو مرتبط بتعريف .. الإنسان بالغايات من خلقه ، وهو الأمر الذي تخلوا منه .. أو تغفله جميع الديانات .

ولهذا يعرف الدين من المنظور الإسلامي بأنه : " البلاغ الصادر عن الخالق المطلق لهذا الوجود (ويشمل ذلك كوننا هذا والأكوان الأخرى الموازية أو المتراكبة معه) لتعريف مخلوقاته (بما في ذلك الإنسان) به (كمالات وفعل) ، وتعريف هذه المخلوقات بالغايات من خلقها ، وحتمية تحقيق ــ هذه المخلوقات ــ لهذه لغايات " .

والغايات من الخلق ــ كما سبق الإشارة إلى هذا ــ هي قوانين سرمدية فيزيائية عليا مغايرة لما نألفه في كوننا هذا .. ولكن نخضع لها .. كما تخضع لها الكائنات الأخرى ، سواء أدركنا هذا أم لم ندرك . ويتمثل تحقيق الغايات من الخلق .. إلى معنى وصول هذه الكائنات إلى التناغم المأمول ــ مع الإله الخالق ــ والذي يحقق لها السعادة الأبدية أو السرمدية في أكوان أخرى مغايرة تحكمها قوانين فيزيائية عليا .. مثل القوانين الفيزيائية التي تحكم كوننا هذا .. إن جاز لنا استخدام مثل هذا التعبير الذي يوحي بتناظر المعاني .

ونلخص المنظور السابق .. ***بأننا إذا قلنا بضرورة وجود الغايات من خلق الإنسان فلابد وأن يكون الدين هو البلاغ الصادر عن الخالق للتعريف بهذه الغايات*** .. وتأتي هذه المعاني السابقة عن مفهوم الدين وتعريفه في الديانة الإسلامية في قوله تعالى ..

﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٥٢)﴾

(القران المجيد : ابراهيم {١٤} : ٥٢)

ويرتبط هذا البلاغ الإلهي ــ في الديانة الإسلامية ــ بأمور فكرية كثيرة منها الأمور الأربعة التالية :

أولا : **الحرية الفردية في الإيمان والكفر ..**

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ... (٢٩) ﴾

(القران المجيد : الكهف {١٨} : ٢٩)

ثانيا : **الحرية الفردية في اعتناق ما يشاء من أديان ..**

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ... (٢٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٦)

ثالثا : **لا وصاية ــ حتى للأنبياء ــ على درجات إيمان الأفراد ، بما في ذلك الكفر نفسه ..**

﴿ ... أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٩٩)

رابعا : **التجرد من الهوى عند القيام بهذا البلاغ الإلهي ..**

﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : القصص {٢٨} : ٥٦)

وبديهي ؛ بمثل هذه المعاني لا يمكن أن يقوم انتشار الإسلام على السيف بأي حال من الأحوال ، بل قام فعلا ــ ويقوم حتى نهاية التاريخ ــ على العقل والمنطق العلمي .. (راجع هذه المعاني في الملحق الرابع من هذا الكتاب) . وكان التوقع ألا يقع العالم الإسلامي في براثن هذا الفهم المغلوط للغرب بأن الإسلام قد انتشر بالسيف وليس بالفكر والمنطق العلمي .

ولهذا يناشد الكاتب : " حكام المملكة العربية السعودية " باستبدال " السيف " الموجود على " علم المملكة " بكتاب مفتوح (إشارة إلى القرآن المجيد) بدلا من السيف .. للدلالة على أن " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ما انتشرت في العالم إلا بالعقل والمنطق العلمي .. وهو الفكر العقلي الذي يطرحه المولى (ﷻ) في قرآنه المجيد على البشرية لأنها غايات من الخلق .. ولم تنتشر " لا إله إلا الله محمد رسول الله " بالقسر .. كما يوحي بهذا السيف .. الموجود على هذا العلم ..!!!

٦ . القضية الدينية والبرهان على حقيقتها ...

كما سبق وأن بينت في المرجعين السابقين .. أن المولي (ﷻ) قد قدم فكر " ***الديانة الإسلامية*** " (ﷻ) للبشرية في صورة " **الْمُسَلَّمَةُ العلمية** " .. أو ما يمكن أن يطلق عليه " **الْمُسَلَّمَةُ الدينية** " . ولما كانت الطريقة الأساسية للبرهنة على صحة " **الْمُسَلَّمَةُ العلمية** " ، هو اختبار صحة نتائج هذه المسلمة ، بمعنى إذا صحت نتائج المسلمة العلمية صحت المسلمة ، وإذا بطلت نتائج المسلمة العلمية بطلت المسلمة وثبت خطؤها . فقد ألحق المولى (ﷻ) هذه المسلمة الدينية بعدد ــ يصعب حصره ــ من النتائج العلمية التي يسهل التثبت من صحتها في ضوء المعارف والنظريات الحديثة والمعاصرة ، وبالتالي إعطاء البرهان الكاف على صحة "**الْمُسَلَّمَةُ الدينية** " ، أو بمعنى اخر إعطاء البرهان الكافي على صحة " **الديانة الإسلامية** " .

وقد سبق وتعرضنا لتفاصيل هذه المعاني ــ باستفاضة ــ في مرجعي الكاتب السابقين .. ونشير هنا بإيجاز إلى قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾
(القران المجيد : النساء {٤} : ١٧٤)

هنا يصبح كل ما جاء في " **القرآن المجيد** " يمثل ــ فيما يمثل ــ البرهان الكامل المعطى للبشرية على مر عصورها [١٨] للتأكد من صحة الديانة الإسلامية . وقد سبق وأن بينت أنه من الصعب القول بتحديد عدد النتائج العلمية الواردة في القران المجيد ، نظرا لارتباط هذا العدد وتأويل معناه النهائي بنهاية تاريخ البشرية [١٩].

كما سبق عرض الاحتواء الديني لتنويعة عريضة من المعارف العلمية المعاصرة ***كنوع من البرهنة العلمية على صحة القضية الدينية الإسلامية*** ، ويمكن للقارئ الرجوع لتفاصيلها في مرجعي الكاتب السابقين . ولكن لنا الآن وقفة موجزة مع بعض النماذج التي سبق تقديمها في المرجعين السابقين .. ولكن قبل عرض هذه النماذج .. دعنا نلقي الضوء ــ أولا ــ على بعض مفاهيم قبولنا للنظريات العلمية الكبرى .. ومبدأ التصديق بها .

---

[١٨] **من منظور عرض الحقائق .. لا تأتي ذكر كلمة " برهان " على نحو مطلق في " الكتاب المقدس " ..!!! أما طبيعة البرهان العلمي في الديانة المسيحية ــ ومدى ترديه ــ فيمكن للقارئ أن يراه في الفصل الثالث من هذا الكتاب ، أو في مرجع الكاتب السابق : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " .**

[١٩] **" الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " ، لنفس المؤلف ، *مكتبة وهبة ، القاهرة* .**

بديهي ؛ أن كلنا يعلم ـ الآن ـ بل ويجزم بأن " **نظرية الفرقعة الكبرى : The Big bang Theory** " ، هى نظرية صحيحة . وكلنا يعلم أيضا ، أن هذه النظرية تستند في وجودها إلى مجرد ثلاث قياسات معملية أو قياسات كونية فقط [20] كدليل صدق على هذه صحة النظرية .
وبديهى أيضا ؛ أن كلنا يعلم بل ويجزم أن " **النظرية النسبية العامة : The General Theory of Relativity** " ، هى نظرية صحيحة . ومصدر ثقتنا في صحتها هى أنها تستند إلى مجرد وجود دليلين كونيين (أو ربما ثلاثة أدلة على الأكثر) فقط يشهدوا على صحتها .

وقل ما شئت عن النظريات العلمية الأخرى .. فى الفيزياء العامة .. فى ميكانيكا الكم .. فى الميكانيكا الكلاسيكية .. وفي خلافة . عدد محدود من القياسات تعطى العقل البشرى ما يكفى من البينات للحكم على صحة هذه النظريات ..

فإذا جئنا إلى القرآن المجيد .. واستعرضنا فيه رحلة العلم المتنوعة وجدناه يموج بالأدلة الكونية ، والأدلة المعملية التى تؤكد وجود مثل تلك " النظريات العلمية الكبرى " التى تم كشفها على طول تقدم الحضاري للإنسان ..!!! وبالتالي فلابد وأن نجزم بصحة هذا الكتاب ..

فعلى سبيل المثال .. **إذا قال القرآن المجيد بوجود " نظرية الفرقعة الكبرى " (أي صياغة المسلمة العلمية) وثبت وجودها وصحتها ، فقد ثبت صحة وصدق القرآن المجيد ..**
وهكذا .. إذا قال القرآن بوجود البلسار والثقوب السوداء وثبت صحتها ، فقد ثبت صحة القرآن المجيد ..
وإذا قال القرآن المجيد بطبيعيات الجو وظواهره ، في أدق تفاصيلها .. والتي لم تكتشف إلا في العصر الحديث (أو المعاصر) .. وثبت صحتها ، فقد ثبت صحة القرآن المجيد ..
وإذا قال القرآن المجيد بمراحل تطور الجنين وثبت صحته ، فقد ثبت صحة القرآن المجيد ..
وإذا قال القرآن المجيد بتطور الإنسان وثبت صحته ، فقد ثبت صحة القرآن المجيد ..

وهكذا ؛ قل ما شئت عن .. ***وإذا قال القرآن المجيد بوجود .. وثبت صحتها .. أو صحته ..*** على النحو السابق ذكره ، عشرات .. بل مئات المرات ، بديهي نكون قد أقمنا عشرات أو مئات المرات الأدلة على صحة وصدق القران المجيد [21] . وهنا نكون قد أقمنا البرهان على صحة

[20] المرجع السابق .
[21] *لم نتكلم هنا إلا عن أقل القليل من الإعجاز العلمي للقرآن المجيد فقط ، وللقرآن المجيد جوانب إعجازية كثيرة .. تحتوي الفكر البشري برمته .. منها الإعجاز في : التشريع ، والمعاملات ، وعلم النفس ، ومكارم الأخلاق ، والتاريخ ، والأنبياء ، والموسيقى (احتواء التلاوة القرآنية لكل الجمل الموسيقية الممكنة) ، وفيما وراء الوجود ، والخلاص .. إلى آخره من جوانب الموسوعة القرآنية .*

المنهاج الديني الذي نستطيع أن نعول عليه في معرفة باقي أحداث سيناريو وجود الإنسان والغايات من خلقه . وبهذا المعنى يتحقق قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٧٤)

وبهذا المعنى أيضا ، يكون قد تحقق ــ ولو بشكل جزئي ــ قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

ثم تبقى كلمة لابد من ذكرها خاصة بـ " قضية التطور " ، فجميع الكتاب الذين يحاولون نفي أو إنكار فكر قضية التطور (إنسان أو حيوان) ، إنما يتحركون من منظور الاعتقاد بأن وجود التطور إنما يعني ــ ضمنيا ــ نفي وجود الخالق (وتكون عملية الإنكار هذه .. أي إنكار وجود أو فكر التطور ، هي بمثابة دفاع الإنسان عن وجود الخالق الذي يدرك الإنسان وجوده بالفطرة حق الوجود) . ولكن الحقيقة عكس ذلك تماما ؛ فوجود التطور هو ضرورة تقتضيها حال وجود الخالق ، فثبوت الخلق إنما يعني ثبوت القدرة . فينبغي العلم بأن التكرار النمطي لوجود ثابت لا متغير (أي نفي التطور) يتنافى ومفهوم تجلي القدرة . فالتطور ــ إذن ــ مطلوب ولازم لبيان القدرة .. أي قدرة الخالق (ﷻ) المتجددة في كل لحظة . وهكذا يصبح التطور سنة من سنن الوجود .. وقانون إلهي محيط [٢٢] .

ويكفي التأمل في قوله تعالى :

﴿ ... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾

(القرآن المجيد : يوسف {١٢} : ٧٦)

---

[٢٢] من أبسط الأمثلة على وجود التطور : " وجود أجيال جديدة من البكتيريا والفيروسات التي تقاوم المضادات الحيوية " .. " ووجود أجيال جديدة من الآفات الزراعية التي تقاوم المبيدات الحشرية " .. إلى آخره .. من مظاهر التطور التي نراها بوضوح .. حتى على مستوى الفيروس والبكتريا . وأكرر بأنه ينبغي العلم بأن وجود خلية واحدة حية أو حتى غير حية (من الناحية الاحتمالية) تستلزم وجود الخالق حتما ، نظرا لاحتوائها على أكثر من ١٣٠٠ نوع من البروتين ، وهو الأمر الذي لا يحتمل تكونه بالصدفة على مدى زمني أطول من عمر الكون نفسه ببلايين المرات ، فما بال الحال بوجود كائن حي كامل سواء على المستوى البشري أو الحيواني .

لكي ندرك أننا أمام مفهوم تطور علمي في أعم وأشمل معانيه ، من خلال تكرارية تزايدية نمطية على وجه مطلق للعلم البشري . فكلمة " عليم " تشير إلى الصفة البشرية ولا تشير إلى إطلاق الصفة ، أي إلى أسماء الله الحسنى (أي صفات الذات الإلهية .. لأن صفات هذه الذات تطلق .. بمعنى أن الله هو " العليم " وليس عليم) . وهكذا فإن كل عليم هو ذو علم .. وبالتالي يوجد من هو أكثر منه علما ، وهكذا بغير نهاية . وأؤكد على أن القرآن المجيد قد أثبت وجود فكر التطور لجميع الكائنات الحية ، بما في ذلك الإنسان .. وليس هذا فحسب .. بل بين أن البرهنة على وجود الله (ﷻ) تستلزم ــ أيضا ــ إثبات وجود التطور . ويمكن للقارئ الرجوع إلى مرجع الكاتب السابق لرؤية الدارونية كما جاء بها القرآن المجيد [٢٣] .

ثم تبقى **قضيتان إعجازيتان** ينبغي الإشارة إليهما قبل مغادرة هذا الفصل ؛ **القضية الأولى** هى أن الإخبار بالقضايا العلمية القرآنية ، يتم فى صورة تحرك من " **أعلى إلى أدنى** " ، أى تذكر النظرية (أو القضية الكونية) أولا ثم يترك التحقق من نتائجها ثانيا . بينما الفكر الإنساني كله فى القضايا العلمية ، يتحرك من ملاحظة النتائج ثم ينتهي منها إلى النظرية (حتى فى المسلمات العلمية فالملاحظة هي التي تفرض نفسها على صياغة المسلمة ، وأرجو ملاحظة الفرق بين صياغة المسلمة وبرهان المسلمة) ؛ وهو ما يعني أن تحرك الإنسان يكون من "**أدنى إلى أعلى** " ، أى عكس الحركة القرآنية . وبديهى لا يملك مثل هذه " ***القفزة المعرفية*** " إلا من يملك الإحاطة الكلية بالوجود ، أى الخالق المطلق له .

أما **القضية الإعجازية الثانية فهي** خاصة بالتنبؤ بحركة الإنسان ذاته وسعيه نحو معرفة وتحقيق الحقائق الكونية المذكورة فى القرآن المجيد . فقد كان يمكن أن تذكر هذه الحقائق ولا يسعى الإنسان لتحقيقها أو معرفتها وهنا تصبح هذه الحقائق لا قيمة لها . ***فبديهي ؛ لا قيمة لنص أو نظرية بدون تحقيق*** . وهكذا تصبح القضية الثانية ــ ربما ــ أكبر إعجازا من القضية الأولى ..!!! لأن القضية الأولى تتضمن نبوءة إعجازية خاصة بصورة قانون طبيعي ثابت ولا متغير ، بينما القضية الثانية تتضمن نبوءة إعجازية خاصة بحركة متغيرة لإنسان متغير . وتتدرج هذه القضية الإعجازية الثانية تحت قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُم إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) ﴾

(القرآن المجيد : القيامة {٧٥} : ١٧ – ١٩)

---

٢٣ " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " ، مكتبة وهبه ، القاهرة .

اى أن المولى (ﷻ) متكفل بجمع القران ، وقراءته حتى يثبت فى فؤاد محمد (ﷺ) وصدره ثم هو متكفل ببيانه للبشرية . ومعنى تكفل المولى (ﷻ) ببيان القران للبشرية ، إنما تعنى أن يقوم المولى (ﷻ) ببرمجة الإنسان على النحو الذي يسعى بعدها الإنسان فى طلب هذا البيان ، كما يقوم المولى (ﷻ) بتحقيق التناغم بين القانون الطبيعي وصورته الرياضية .. وبين الإنسان ومعرفته للرياضة .. حتى يتحقق له هذه المعرفة أو البيان المطلوب ..!!!

٧. ظاهرة تعدد الأديان .. وتفسيرها [٢٤] ..

في الواقع ؛ تعتبر " **ظاهرة تعدد الأديان** " هي الظاهرة السطحية للمفهوم المتجاوز والأكثر عمقا لمعنى " **لغز الوجود** " [٢٥] .. وهو اللغز المطلوب من الإنسان حله .. على مدار حياته .. وحضاراته .. باستخدام كل ما أهله به الله (ﷻ) من عقل .. ومن علم ومنطق وحواس .. بل ومن ملكات أخرى أيضا . وبديهي ؛ لحل هذا اللغز لابد لنا من فهم واستيعاب معنى " **ظاهرة تعدد الأديان** " ، وهي الظاهرة التي تدور حول فكرين أساسيين : (١) الفكر الأول هو وجود : " الغريزة الدينية " لدى الإنسان (٢) أما الفكر الثاني فيتمثل في " الوعي الفطري بوجود الله " . وتتلخص " **الغريزة الدينية** " في رغبة الإنسان في اعتناق ديانة ما أو أي مذهب وضعي اخر .. تصديقا لقوله تعالى عن طبيعة خلقه لنا :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : الذاريات {٥١} : ٥٦)

وهو ما يعني ؛ أن الله (ﷻ) قد خلق الإنسان على نحو " **مؤهل لأداء العبادة** " من جانب .. كما " **يسعى لأداء العبادة** " ــ وذلك على وجه مطلق في صورة لا تحديدية فيها ــ من جانب أخر . ولإعطاء مثال مناظر لبيان هذا المعنى ؛ نقول أن تأهيل الإنسان للأكل ــ مثلا ــ يستلزم وجود الجهاز الهضمي .. بينما سعي الإنسان لأداء الأكل (أي للأكل) .. يستلزم وجود جهاز الاستشعار .. أي الإحساس بالجوع والشبع .. كما يستلزم وجود الطعام . وقد يُشبع الإنسان

---

[٢٤] يوجد تفاصيل أخرى في الفصل السادس من هذا الكتاب .. بند : حقيقة الأمر ..

[٢٥] سبق تعريف " لغز الوجود " بأنه البرهنة المطلقة : (١) على وجود الخالق المطلق .. (٢) وعلى وجود القضية الدينية المطلقة .. (٣) وعلى وجود الغايات من خلق الإنسان .. (٤) وحتمية تحقيق الإنسان لهذه الغايات . ويمكن اختصار هذا التعريف (أي تعريف " لغز الوجود ") في عبارة واحدة فقط هي : " التعرف على الديانة الحقة من بين الديانات الوثنية " .

الطعام الفاسد كما يُشبعه الطعام الجيد .. ولكن الطعام الفاسد يقضي عليه . وبديهي جميعها أمور غريزية .. أي مركبة في الإنسان على نحو فطري (By default) منذ الولادة . وهكذا فالتأهيل الإنساني لأداء العبادة يستلزم وجود العقل (التناظر مع الجهاز الهضمي .. في المثال السابق) .. والسعي لأداء العبادة يستلزم وجود الإدراك أو الحاسة اللازمة لإدراك وجود الخالق المطلق (حواس الجوع والشبع) .. وهو ما يستلزم وجود الخالق نفسه (مناظر لفكر الطعام في المثال السابق) .

ثم ننتقل إلى الفكر الأخر وهو : " **الوعي الفطري لوجود الله** " (ﷻ) ، الذي ينحصر ـــ إلى جانب حتمية وجود البرهان الدال على هذا الوجود ـــ في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ - ١٧٤)

أي أن الكل .. غارق في هذه المعرفة .. أي معرفة وجود الإله بالفطرة ..!!! وبهذا تنحصر الغايات من خلق الإنسان ـــ في أقل معانيها ـــ في تحقيق قوله تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ... (٢٣) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣)

وهو القرار الذي ينهى أى مقولة حول حق الإنسان فى التوجه بالعبادة ـــ فى أى صورة من الصور ـــ لغير الله (ﷻ) . ومن هذا المنظور تصبح الغايات من خلق الإنسان هي غايات عقلية بحتة تنحصر في البحث عن الإله الحق . **وقد يتنبه الإنسان ، أو قد لا يتنبه ، إلى أن الآية الكريمة السابقة تقرر : بأن الإنسان غارق في العبادة .. حتى وإن اعتقد أنه قد تنكر لكل الأديان ..!!! كما تقرر بأنه يؤمن بإله .. حتى وإن اعتقد أنه قد أعرض عن كل الآلهة ..!!! وهكذا يصبح الإنسان مختبرا فقط ـــ فيما هو مختبر فيه ـــ فى إدراك صحة التوجه إلى " الله " فحسب ..!!!** ***وهنا تصبح الغايات من خلق الإنسان ـــ في أقل معانيها ـــ هي الاختبار العقلي للإنسان في معرفة الديانة الحقة*** .

وبهذا المعنى تصبح " **ظاهرة تعدد الأديان** " هي الظاهرة السطحية للمفهوم المتجاوز والأكثر عمقا لمعنى " **لغز الوجود** " [٢٦] كما ذكرنا . وهنا يمكن أن نصل إلى رؤية الديانة الإسلامية (المرجعية الدينية المطلقة) لحل هذا اللغز .. وأكتفي هنا بالإشارة إلى أن الديانة الإسلامية قد ميزت بين **فكرين أساسيين** :

الفكر الأول منهما هو : " علاقة الإنسان بالله " (العاطفة) .
أما الفكر الثاني فهو : " علاقة الإنسان بالمضامين الدينية " (العقل) .

ففي الفكر الأول ، أي " **علاقة الإنسان بالله** " ، **فإن المولى** (ﷻ) **يبين لنا أنها** " **علاقة عاطفية** " **بحتة** ، **أي هي فطرة أو غريزة قد أودعها في الإنسان منذ تكوينه الجنيني** ؛ **ويمكن أن تعرف ــ هذه العلاقة ــ باسم** " **الوعي الفطري بوجود الله لدى الإنسان** " . **ويمثل هذا الوعي العاطفي** .. ***النسيج الخفي*** الذي يربط إدراك الإنسان بوجود " **إله خالق له** " على نحو غامض لا تحديدية فيه إلا لصفات عامه كالقدرة .. والحكمة .. وهكذا ..!!! ***وقد بينا في الكتاب السابق [٢٧] أن " دموع الانفعال بوجود الحضرة الإلهية " يتساوى فيها الإنسان .. في المساجد .. في الكنائس .. في المعابد .. في أي دور أخرى للعبادة .. وننتهي من هذه العلاقة إلى أن ..***

الإنسان ليس في حاجة إلى دين لإدراك وجود الله ...

وهذه العلاقة العاطفية ؛ أي العلاقة القائمة على الإدراك أو الوعي الفطري بوجود الله ، إلى جانب وجود الغريزة الدينية ، هي الأصل في تعدد الأديان . واستمرار تدين الإنسان بالأديان الوثنية ، كما هو الحال الان في المعتقدات الدينية لدى الأمم والشعوب المختلفة ، إنما مرده في ذلك إلى وجود تلك العلاقة العاطفية . وعادة ما يكتفي الإنسان بهذه " العلاقة العاطفية " .. والقيام بتأسيس أي نظام ديني كبنية فوقية على هذا الاعتقاد . ولا تشترط هذه العلاقات أي صفات محددة أو صفات بعينها للخالق ، كما لا تستلزم وجود أي غايات من الخلق ، كما لا تشترط أي " **طقوس دينية** " معينة لعبادة هذا الخالق ، إنما تشترط وجود الخالق من حيث المبدأ فحسب . وغالبا ما يتشكل هذا " **البناء الديني الفوقي** " في فترة مبكرة جدا من الحضارة البشرية ، لذا فإن جميع الديانات تشتمل على قدر هائل من الوثنيات والتناقضات الفكرية التي لا تستقيم مع العقل والمنطق العلمي الحالي للإنسان المعاصر .

---

[٢٦] أنظر التذييل السابق . كما توجد تفاصيل أخرى في الفصل السادس من هذا الكتاب .. بند : حقيقة الأمر .
[٢٧] " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " ، يطلب من مكتبة وهبه .

أما **الفكر الثاني** ؛ أي فكر : " **علاقة الإنسان بالمضامين الدينية** " ، فهو " **فكر عقلاني بحت** " يفرضه علينا الخالق ــ أي الله (ﷻ) ــ كناتج طبيعي من وجود غايات من خلق الإنسان ، ووجود العقل البشري على هذا النحو . أو بمعنى آخر ؛ ***أن علاقة الإنسان بالمضامين الدين يضعها الخالق في صورة " علاقة عقلية "*** .. كضرورة تحتمها تحقيق الغايات من خلق الإنسان ، ولحكمة اختبار أو ابتلاء قدرات الإنسان العقلية في معرفة واستنتاج الحقيقة المطلقة ، وهو الناتج الطبيعي من تركيب العقل البشرى على هذا النحو وما يتميز به من قدرة على التحليل والاستنباط والاستنتاج في كل ما هو مؤهل لدراسته ، وكذا مقدرة العقل على التمييز بين ما هو حق وما هو باطل .

ولكي يدرك الإنسان معنى الدين ، ومعنى دور الدين في حياته ، يجب عليه القيام بالفصل الدقيق والصارم بين الفكرين السابقين ، أي فكر العاطفة (وهو الفكر المتمثل في إدراك وجود الله (ﷻ) وغريزة التدين) ، والفكر العقلاني (الذي يتمثل في إدراك صحة المضامين الدينية) . وبديهي عدم التفرقة بين الفكرين يفقد الإنسان طريقه الصحيح تماما في التوجه إلى الله (ﷻ) ، وهو التوجه الذي يعتبر غاية الغايات من خلق الإنسان .

ثم يبقى عرض وتحليل ***ظاهرة ما يمكن أن يعرف أو ما يسمى : بـ " صدق الاعتقاد "*** ، وهي الظاهرة التي تجعل من أتباع كل دين يعتقدون في صدق ديانتهم وبطلان ديانات الآخرين . وربما خير ما يمكن أن نفسر به هذه الظاهرة ، أي " **ظاهرة صدق الاعتقاد** " هو ما يمكن أن يسمى باسم : " **نظرية الاحتواء** " أو " **نظرية التضمين** " [٢٨] . ويمكن صياغتها على النحو التالي :

" باستثناء المرجعية الدينية المطلقة (أي الدين الإسلامي [٢٩]) والتي تمثل الاحتواء الكامل للعقل والفطرة والبرهان .. فإنه يمكن القول بأنه : ما كانت الأديان لتظهر وتبقى لولا احتواؤها على آثار (Traces) من الفطرة التي خُلِقَ عليها الإنسان " .

---

[٢٨] للتفاصيل .. انظر : " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشرى " ، نفس المؤلف ، مكتبة وهبه .

[٢٩] الأصل ؛ لا يوجد ما يسمي بـ " الديانة الإسلامية " .. ولكنه " الدين الإسلامي " .. ولكن قد يفرض علينا سياق الحديث التسمية الأولى .. عند الكلام عن مجاميع الديانات .

أو بصياغة أخرى : " مـــا كانت الأديان لتظهر وتبقى لولا احتواؤها على شئ مـــن الحقيقـــة الكامنة فى النفس البشرية ، ولو بشكل شاحب " .

والحقيقة التى تحتويها الأديان غالبا ما تكون باهته ومشوشة ، وهى حقيقة تلوح عن بعـد من داخـل النفس البشرية حيث لا يمكن ــ فى العادة ــ تبين معالمها ، كما ينقصها البرهـان أو البراهين الدالة على صحتها ، كما لا يمكن التثبت منها على أى نحو . **وتختلف الحقيقة التـــى تحتويها الأديان عن المعرفة المتكاملة للحقيقة المطلقة والموجودة فى " المرجعيـــة الدينيـــة المطلقة " (أي الدين الإسلامي) ، فى درجة الوضوح ، وفـــى التكامليـــة الفكريـــة ، وفـــى البراهين الدالة على صحة الديانة . كما تختلف أيضا فى وجود الغايات من الخلـــق ، وهـــى الغايات المصاحبة والمطلوب من الإنسان تحقيقها على مـدار فترة تواجده فى هـــذه الحيـــاة الدنيا .**

ونستطيع شرح جميع المعاني السابقة إذا ما تفهمنا معنى " ***طبيعـــة الوجـــود الإنســـاني*** " وخلقه كما جاءت بها المرجعية الدينية المطلقة ، وترجع أهمية هذا الشرح إلى هدفين أساسيين : **الهدف الأول منهما** ؛ هو إعطاء فكر أو معنى متكامل عن قضية خلـــق الإنســـان ووجـــوده ، ومفهوم الفطرة أو الغريزة الدينية لديه ، وارتباط هذه الفطرة بتكوين الفكـــر الدينـــي الأساســـي واللازم لتأسيس الديانات الوضعية التى تغص بها المجتمعات البشرية الآن . **أما الهدف الثاني** ؛ فهو إعطاء الفرصة للقارئ المتأمل أن يرى أين تقع " **آثار الحقيقة** " الخاصة بكل ديـــن . هـــذا وقد سبق التعرض لتفاصيل هذه المعاني في مرجع الكاتب السابق [٣٠] .

٨. عالمية أو كونية البلاغ الإلهي الأخـــير (أي الديـــن الإســـلامي) ورؤية غربية مغلوطة ..

في الواقع ؛ كنت لا أتوقع عدم تنبه الغرب إلى عالمية الدين الإسلامي ، أو بمعنى اخـــر عدم تنبه الغرب إلى عالمية هذا البلاغ الإلهي الأخير الصادر عن المولى (ﷻ) وعدم قصوره على العالم العربي فقط كما يدعون بهذا . وربما كان توقعي هذا يـــأتي مـــن منظـــور وجـــود نصوص قرآنية كثيرة مباشرة لا تحتمل أي شك أو تـــأويل بغير هذا المعنى ، والتي تبين هـــذا المفهوم بوضوح تام .. بل وكامل . ولكن قبل عرض هذه النصوص القرآنية ، دعنـــا ــ أولا ــ

---

[٣٠] المرجع السابق (فصل : أديان العالم من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر) .

نعرض رؤية الغرب المغلوطة ***واعتقاده بأن الدين الإسلامي هو دين محلي لم يقصد به سوى العرب فقط ..!!!*** ونبدأ هذه الرؤية الغربية المغلوطة بمؤلف كتاب " **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** " [٣١] ، " **جفري بارندر** " [٣٢] الذي يقول في كتابه في صفحة ٤٦٩ (من النسخة الإنجليزية .. والنص غير مترجم إلى العربية) :

" **أن محمد (ﷺ) كان متأكدا ، بكل المعاني أو بكل الوسائل ، من أن الإسلام ليس له أى معنى إلا للعرب ، ومع ذلك فإن المسلمين رأوا ، فيما بعد ، أن فيه أغراضا خلاصية (أى يمكن التبشير به في عالميا) "**

وتضيف الراهبة الإنجليزية " كارين أرمسترونج " [٣٣] في كتابها :

---

[٣١] " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ؛ جفري بارندر . ترجمة أ. د. / أمام عبد الفتاح إمام (أستاذ ورئيس قسم الفلسفة ــ جامعة الكويت) ، ومراجعة : د. / عبد الغفار مكاوي . الناشر : مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع . والكتاب الأصلي ــ عن الإنجليزية ــ هو :

" World Religions: From Ancient History to the Present ": Editor: Geoffrey Parrinder. Facts on File Publications, New York, New York. Bicester, England

والترجمة العربية لهذا الكتاب حذف منها ــ فيما حذف ــ الفصول الخاصة بالديانات اليهودية ، والمسيحية ، والإسلامية ، تحت دعوى ــ كما يقول المترجم ــ بأن الكتب والشروح لهذه الديانات فى متناول الجميع فى العالم العربي ، من ناحية ، كما وأن العالم العربي أقدر على فهم هذه الديانات من غيره (بديهي ؛ بما فى ذلك مؤلف الكتاب نفسه) من ناحية أخرى . ولم يتنبه المترجم إلى أن أهمية احتواء الترجمة العربية لهذه الأديان ترجع إلى ضرورة معرفة العالم العربي منظور الغرب لهذه الأديان ، وخصوصا المنظور الخاص بالديانة الإسلامية ، وهل أصاب المؤلف ــ جفري بارندر ــ فى فهمه وعرضه لها ، أم أنه أخطأ كعادة الكتاب الغربيين عند الكتابة عن الديانة الإسلامية . وبديهى ؛ معرفة وجهة نظر المؤلف ــ هنا ــ تصبح ضرورية حتى يمكن تصحيح أخطاء الكتاب الغربيين فى هذا الشأن .

[٣٢] جفري بارندر (١٩١٠ - ...) : رُسم قسيسا فى الكنيسة الإصلاحية فى عام ١٩٣٦ ، وحاضر فى الأديان ابتداء من عام ١٩٤٩ . ثم أصبح أستاذا للأديان المقارنة بكلية اللاهوت بجامعة لندن ، ثم عميدا للكلية ، وأستاذا للأديان المقارنة بكلية الملك بجامعة لندن من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٧ ، وله عدة مؤلفات عن مقارنة الأديان منها الكتاب المذكور الذي ترجم إلى العربية .

[٣٣] " محمد " . كارين أرمسترونج . ترجمة د. فاطمة نصر ، د. محمد عناني . الناشر : سطور . الطبعة الثانية ، ص : ٣١٤ . وتقول الكاتبة (كارين أرمسترونج) عن نفسها (المرجع نفسه ص : ٢٣) : " لم أعد الآن من المؤمنين بالمسيحية أو الممارسين لشعائرها ، بل لا أنتمي رسميا إلى أي دين آخر ، ولكنني عكفت على مراجعة أفكاري عن الإسلام ، وفي الوقت نفسه وجدتني أعيد النظر في معنى التجربة الدينية نفسها ، فرأيت أن الأنبياء والرسل في جميع الأديان الكبرى يتميزون بأن رؤاهم للحقيقة المتعالية القصوى تتشابه فيما بينها تشابها كبيرا " - راجع هذه المعاني مع فقرة تعريف الدين السابقة .

محمد " (ﷺ).. عن الرسائل التي بعثها **محمد** (ﷺ) إلى الملوك والأباطرة المحيطين ببلاد العرب لكي يدعوهم فيها إلى الإيمان بالديانة الإسلامية :

" ويروي الرواة رواية لم توردها أقدم المصادر ، مفادها أن محمدا قام بإرسال رسائل وهدايا ثمينة إلى إمبراطوري بيزنطة وفارس ، وإلى النجاشي ملك الحبشة ، وإلى المقوقس عظيم القبط في مصر يدعوهم إلى الدخول في الإسلام [٣٤] . ونكاد نقطع بأن هذه الرواية مدسوسة لأننا لا نملك الدليل **على أن محمدا كان يرى أن الإسلام دين عالمي وأنه سوف يلغي ما أنزل على أهل الكتاب . كان الإسلام حتى تلك الفترة دينا لأبناء إسماعيل ، مثلما كانت اليهودية دين أبناء يعقوب . واستمر المسلمون ، إلى ما بعد وفاة نبيهم بنحو مائة عام ، يعتبرون أن الإسلام دين منزل على العرب وحسب ، وإذا صدقت رواية سفراء النبي إلى حكام البلدان المجاورة ، فقد كانت تعبيرا عن الثقة الجديدة التي اكتسبها محمد وعن اتساع نطاق رؤيته** "

وللرد على هذه الرؤية الغربية المغلوطة ، وعن عالمية الدعوة أو الرسالة الإسلامية ، نقول **بأن " محمدا " (ﷺ) كان يعلم تماما بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، كما جاء في قوله تعالى :**

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٤٠)

وبديهي ؛ هذا المنظور يعني أن الدين الإسلامي هو اخر الرسالات ، أي هو اخر علاقة بين السماء والأرض ***(أو من المنظور الغربي : هو العهد الأخير)*** ، ولهذا فلا يمكن أن تكون هذه الرسالة مقصورة على العالم العربي فقط .. بل يجب أن تشمل الناس جميعا ، كما جاء في قوله تعالى **لمحمد (ﷺ) :**

---

[٣٤] تجمع كتب السيرة أن محمدا (ﷺ) أرسل رسله إلى هرقل (ملك الروم) ، وكسرى (عاهل الفرس) ، والنجاشي (ملك الحبشة) ، والمقوقس (عظيم القبط في مصر) ، وغيرهم من الملوك المحيطين ببلاد العرب ، لكي يدعوهم إلى اعتناق الإسلام . ويتفق جميع الرواة والمؤرخين على أن جميع رسل محمد (ﷺ) لهؤلاء الملوك والأباطرة عادوا جميعا سالمين ولم يقتل منهم أحد . بل وحملوا جميعهم رسالات كان في أكثرها رقة وعطف (ومنها أن قام مقوقس مصر بإهداء محمد (ﷺ) جاريتين ــ ماريا وسيرين ــ وبغلة بيضاء وحمارا) . ولم يخل رد بعض الملوك ــ أحيانا ــ من غلظة وشدة مثل رد كسرى عاهل الفرس ، ولكن في جميع الأحوال لم يقتل منهم أحد . [" حياة محمد " ، محمد حسين هيكل ، دار المعارف . القاهرة . ص : ٣١٥ - ٣١٨] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٢٨)﴾

(القرآن المجيد : إبراهيم {٣٤} : ٢٨)

فأين العرب في هذا النص ..!!! ونلاحظ هنا النبوءة المذكورة ﴿ .. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ وانطباقها بشكل مباشر على كل من : **جفري بارندر ، وكارين أرمسترونج ..!!!** وليس هذا فحسب ، بل أن محمدا (ﷺ) كان يعلم تماما أن دعوته ، أو هذا البلاغ الإلهي الأخير ، قد تخطى كوننا المادي هذا ليشمل الأكوان والعوالم الأخرى التي تسكنها كائنات مغايرة لنا تماما [٣٥] ، ***كما جاء في قوله تعالى :***

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٧)

و " ***العالمين*** " ***تشمل عالمنا هذا والعوالم الأخرى*** . **وهذا النص يعمم الدعوة لتشمل " الأكوان الموازية الأخرى " . وربما كان هذا أمرا طبيعيا ، كناتج طبيعي عن كون " القرآن المجيد " يمثل " دستور الوجود " الذي بنيت على أساسه مفرداته ، وهو ما يعني أنه *لا يوجد المزيد الذي يمكن أن يقال به لهذه العوالم الأخرى ، بعد هذا البلاغ الإلهي الأخير* .**

وهكذا فإن عالمية الدعوة الإسلامية ، أو بمعنى أدق كونية البلاغ الإلهي (الأخير) ، قد تقررت بنصوص قرآنية مباشرة . فهي نصوص لا تحتمل الشك أو التأويل أو الفهم بغير هذا المعنى ، وكان محمد (ﷺ) وأصحابه يعلمون هذا جيدا ، ومن هذا المنطلق كانت حركتهم في الحياة .. ولهذا كان إرسال محمد (ﷺ) لرسله إلى الملوك والأمراء والأباطرة . ***وعلى الرغم من وجود هذه النصوص القرآنية المباشرة التي تبين هذا المفهوم إلا أن الغرب يدعي دائما بمحلية الدعوة الإسلامية وعالمية الديانة المسيحية ..!!! وبديهي ؛ هذا يعني أننا مقصرون في التبليغ بهذه المعاني الوارد ذكرها في هذا البلاغ الإلهي الأخير .***

ومن منظور قلب الحقائق والعمى الفكري والتعصب الديني الذي يتميز به المفكر المسيحي (هذا إن جاز لنا تسميته بمفكر) ، نجد أن الديانة المسيحية ــ في حقيقة أمرها ــ

---

[٣٥] أنظر كذلك " سورة الجن " من القرآن المجيد .

لا تتسم بالعالمية على الإطلاق كما يدعي بهذا أهلها ، بل تتسم بالمحلية والخصوصية الشديدة لبني إسرائيل فقط . حيث يأتي هذا المعني ــ والذي لا يحتمل أي شك أو تأويل بغير هذا المعنى ــ بشكل مباشر في الكتاب المقدس ، حين يأمر السيد المسيح تلاميذه بالذهاب والدعوة في بني إسرائيل فقط :

[(٥) *هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا . إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا* (٦) *بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة* (٧) وفيما انتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السماوات (٨) اشفوا مرضى . طهروا برصا . أقيموا موتى . أخرجوا شياطين . مجانا أخذتم مجانا أعطوا] [٣٦]

(الكتاب المقدس : إنجيل متى {١٠} : ٥ - ٨)

فكما نرى من هذا النص ، أن الدعوة بالديانة المسيحية لا تتعدى منظور الدعوة في بني إسرائيل فحسب . وأود أن أنوه هنا ، بأني لا أقصد الدعوة بالديانة المسيحية إلا بالمفهوم الديني لها قبل التحريف الذي أصابها ، وليس بوضعها الحالي . ومفهوم الديانة المسيحية قبل تحريفها ــ كما سبق وأن ذكرت وكما أكرر دائما ــ إنما تعني أحد الصور أو النسخ الأولى للديانة الإسلامية **(one of the versions of the Islamic religion)** . فلولا وجود هذا التحريف الذي أصاب هذه الديانة ما كان ينبغي لها أن تسمى باسم " ***الديانة المسيحية*** " أصلا .. بل كان يجب أن يكون اسمها " ***الديانة الإسلامية*** " ، وذلك من منطلق وحدانية الخالق المطلق وبالتالي وحدانية الدين كذلك ، وهو الأمر الذي سبق الإشارة إليه . ***أما التكريز المذكور ــ في النص المقدس السابق ــ باقتراب ملكوت السماوات فلم يتجاوز معناه سوى التبشير باقتراب الديانة الشاملة ، أو البلاغ الإلهي الأخير (العهد الأخير) المتمثل في الديانة الإسلامية (وأرجو أن يتروى القارئ غير المسلم في الاعتراض على هذا التفسير حتى ينتهي من قراءة هذا الكتاب ، وحتى يرى حقيقة الديانتين اليهودية والمسيحية بلا رتوش وبلا أدنى تجني ..)***

---

[٣٦] قارن هذا النص الإنجيلي مع ما ورد ذكره في القرآن المجيد .. والذي يبين أن رسالة السيد المسيح كانت مقصورة على بني إسرائيل فقط .. كما يبين بشارة عيسى (عليه السلام) بمجيء النبي الخاتم محمد (ﷺ) ..

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) ﴾

(القرآن المجيد : الصف {٦١} : ٦)

انظر أيضا : " الملحق الخامس " من هذا الكتاب .

وتأكيدا على هذا المعنى السابق بخصوصية الدعوى المسيحية وقصورها على بني إسرائيل فقط ؛ نجد أن السيد المسيح (عليه السلام) نفسه .. لم يستجب للمرأة الكنعانية التي طلبت منه إنقاذ ابنتها من الجنون ، بل أعرض عنها ولم يجبها في دعوتها إلا تحت ضغط تلاميذه ، *وبعد أن أحرجته المرأة الكنعانية نفسها في عدم استجابته لها . وقد برر السيد المسيح تصرفه هذا .. بأنه لم يرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة فحسب .. وهاك النص ..*

[(٢١) ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء (٢٢) وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود . ابنتي مجنونة جدا (٢٣) فلم يجبها بكلمة . فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا (٢٤) *فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة* (٢٥) فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعني (٢٦) فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب (٢٧) فقالت نعم يا سيد . والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها (٢٨) حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك . ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها من تلك الساعة]

(الكتاب المقدس : إنجيل متى {١٥} : ٢١ - ٢٨)

وبقليل من العقل ، وهو مالا يوجد ــ حقيقة وبشكل كامل ــ في الديانة المسيحية ، نجد أن النص السابق [.. *لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة*] هو نص يكفي وحده لنسف فكرة عالمية الديانة المسيحية .. ويكفي وحده لنسف فكرة " **الفداء والصلب** " .. ويكفي وحده لنسف ألوهية المسيح " **أي المسيح هو الإله المتجسد** " .. ويكفي وحده لنسف " **فكرة قيامة الإله ــ بعد موته ــ من بين الأموات** " .. ويكفي وحده لنسف كل ما يقول به أئمة الديانة المسيحية ..!!! ***وعموما فإن المنطق أو العقل ليس بسمة من سمات الديانة المسيحية .. كما رأينا ذلك في مرجعي الكاتب السابقين .. وكما سنرى ذلك أيضا ــ بالعين المجردة ــ في الفصول التالية من هذا الكتاب ..!!!***